ثم استوت ليناً وضمته الى صدر تهيج به الصبابة والولا
وتنهدت وشكت الى رب العلى حباً اقيم لاجل تعذيب الملا
فاصابها منه النصيب الوافر

في وسط تيار اللواعج والغزل لثمت محياه الجميل على عجل
فاحمروجه البكرمن فرط الوجل وجبينها الوضاح انداه الخجل
فبدت يجللها الحياء الطاهر

اما الحبيب فقد احس برعدة في جسمه تسري بعيد اقبلة
ثم استفاق كمن صحا من نشوة فاذا به في الحلم وسط الروضة
ملقى وقد طلع الصباح الزاهر

حبيب المعوشي

قلب الرجل

اهدت الينا حضرة الكاتبة الفاضلة المهذبة السيدة لبيبه هاشم (ماضي) نسخة من رواية بهذا العنوان فاحببنا ان نتولى تقريظها ونقدها بما نزيد معه عن سائر ما يهدى الينا من الكتب باعتبار انه من قلم امرأة ولكننا بينا كنا نهم بذلك اذ وردتنا هذه المقالة عنه بقلم حضرة الكاتب المجيد حنا افندي سركيس فرأينا فيها الغنى عن الزيادة قال

لولا بعض كتب تنشر في هذا القطر من حين الى حين فتكون بمثابة المنظر البهيج يمر على نظر المسافر في الارض الصحراء او كالنور الساطع يبدو في الليلة الظلماء او كابتسامة الرضى من الحبيب بعد طول الجفاء او كالرجل العاقل الحكيم يتكلم بين زمرة الجهلاء لولا ذلك البعض لقضي على العقول بالعقم وعلى الآداب بالعفاء

ولا مشاحة ان الكتاب هو المعيار الذي يدل على درجة الرقي في كل امة وعلى مبلغ معارفها وقيمة ادراكها وهو ما يجعل كل ذي احساس شريف ان يتلقى كل اثر كريم من آثار البنان او ثمر ناضج من ثمار العقل بيد السرور والابتهاج لعلمه انه سرور بالارتقاء العام وابتهاج بادل علامة من علاماته الحقيقية

ولا حاجة للقول ان هذا السرور يتضاعف عندما يكون الكتاب من وشي مخضوب البنان وتدبيج مترف الكف الا وهي المرأة وما ذلك الا

لاعتبار فضلها مضاعفاً لكونها محرومة من وسائل التعلم على العموم ومن تعلم لغتها العربية بالخصوص

ولقد امر بفكري هذه الخواطر كتاب ظهر حديثاً بالعنوان الذي صدرت به هذه السطور منمقاً ببراعة حضرة الفاضلة الادبية والكاتبة الاريبة السيدة لبيبه هاشم التي توشك ان تكون فريدة في عقد ربات الجمال بما احرزته في عالم الكتابة من المكان الرفيع وما توشي به الصحف من نفثات يراع كأنها الطراز المعلم او زهر الربيع

وكأني بحضرة الفاضلة رأت ما في التعريب من الدلالة على قصر الباع في التصنيف وقلة الحيلة على الاختراع والتوليد وما هي بالعاجزة فاقدمت على التأليف مخالفة بذلك ما درج عليه اغلب الكتاب حتى المجيدون منهم لحد الان في الاقتصار على نقل روايات الافرنج الى لغتنا على ما في اكثرها من قلة التلاؤم مع عاداتنا واخلاقنا وهو ما كان يصح التساهل به في بداءة الامر اما وقد طال بهد تلك التلمذة ولم ينطلق الفكر من ذلك القيد ولا القلم من ذلك العقال فقد صار دليلاً على خمود القرائح وجمود الافكار

ولقد اقبلت على مطالعة « قلب الرجل » مدفوعاً اليها باشد عوامل الشوق لا لاني اجهل اخلاق هذا العضو الصغير الكبير ولكن لان الكاتبة عنه امرأة وناهيك بهذه المزية سبباً يدفع كل رجل للاقبال على مطالعته ومعرفة رأي المرأة فيه . ويا حبذا لو استفز هذا الموضوع احد كتابنا الادباء وما هم بالقليلين والحمد لله الى ان يكتب لنا عن قلب المرأة فنرى اي القلبين اقرب الى طبع الغصن في الميل والى الريح في التقلب وايهما اوفى عهداً واصدق وداً

واني احب قبل التكلم عن الرواية من حيث موضوعها نفسه ان اقضي واجب الثناء على جودة طبع الرواية وعلى عبارتها وهو ثناء يشاركني فيه بلا مرآء كل من طالع الرواية او القى نظرة فيها اذ يراها جامعة مع متانة التركيب جمال الاسلوب ومع المعنى الشائق اللفظ الجزل الرائق ومع حسن التنميق جمال التنسيق وقد صيغ كل ذلك برقة ربات الحجال فكان ارفع في النفس وافعل في تمثيل قلوب الرجال

اما قلب الرجل يا مولاتي فانه لكما وصفت وازيد من ذلك فطر مطبوعا على هذا الخلق فكانه يصيخ تارة لقول الشاعر « تنقل فلذات الهوى في التنقل » وقد فاته ان الشعراء هم الغاوون وفي كل واد يهيمون وطوراً يتجدد عنده ذكر حواء وما كان من خروجه من نعيم الخلد بسببها فلا يلبث ان ينصرف عنها بنظره ولكن يعود اليها بقلبه

ومع ذلك فالراسخ في الاذهان ان التقلب هو خلق المرأة وشعار قلبها وعندي ان الرجل هو الذي اعدى المرأة من البدء بهذا الخلق فاخذته عنه ثم تنصل منه وانقلب يتهمها باشنع التهم ويرميها باقبح المطاعن ولو انصف لوجد ان المرأة ليست في خلقها هذا الا مجارية له على هواه عاملة على مقاتلته بنفس سلاحه ولو صح التسليم بان هذا الخلق وجد هوى في نفس المرأة فمالت اليه بكليتها واجادته حتى صارت السابقة في هذا الميدان فمن يكون الملوم وهي التلميذة وهو الاستاذ . ومما لا ريب فيه انه ليس اشهى للمرأة وهي الضعيفة بدون الرجل والمحتاجة اليه من ميثاق يصونه وعهد لا يخونه وقلب يثبت معها على الحب وحب لا يتحول من القلب ولكن اني لها ذلك وقد عهدت الرجل حليف السأمة والملل سريع التحول والانقلاب شبيه

الظل في طبعه لذا خشيت على نفسها ان تذهب ضحية غوايته وبدواته فداوته بنفس دائه وزيادة شأن الوفاء في رد الامانات وقد كان الدواء كاوياً فتألم منه وراح يملأ الدنيا صراخاً وشكوى من المرأة ولو تدبر الامر قليلاً لتألم من نفسه وشكا منها دون سواها ولما انطبق عليه في هذه الحال قول المثل العامي « ضربني وبكى ثم سبقني واشتكى »

على اني التمس الاذن من سيدتي الفاضلة وسيداتي ربات الخدور للقول ان الرجل وان ساء خلقه وسفل قلبه فقد كرمت نفسه وترفعت به عن حضيض اللؤم فقلما تراه لاجئاً الى سلاح الانتقام من المرأة ولو كان في طعنتها له الاجهاز على قلبه كأنما هو يعترف ضمناً بحقيقة ذنبه فلا يرى فيما اساءت اليه المرأة المرة الواحدة الا تكفيراً عن اساآته اليها المرات العديدة فيما سلف اما المرأة فعلى كونها مثيلة في الذنب والحال معها واحدة ان لم تكن زيادة فليس لها من اخلاق النفس ما له بل انها تخضع لعوامل من الحقد والانتقام يندر ان تتطرق الى قلب الرجل . وحقاً قد قيل ان المرأة اذا بطلت محبتها لك فقد صارت عدوتك وليس الامر بالمثل مع الرجل

اما ما كان من الخطيبة الاولى لبطل روايتك وقيامها على وده بالرغم عما كان من نكثه بعهدها بعد اختلاسه مال ابيها وولي نعمته فهي ولا شك افعال شريفة نادرة ما مثلها فعال . وحبذا لو طاوع المرأة قلبها على مثل ذلك اذن لاسترقت على ميلها قلوب الرجال

اما اصدق ما يوصف به قلب المرأة فهو قول المتنبي فيها او فيه

اذا غدرت حسناء وفت بعهدها ... فمن عهدها ان لا يدوم لها عهد

وان حقدت لم يبق في قلبها رضى ... وان رضيت لم يبق في قلبها حقد

وان عشقت كانت اشد صبابة ... وان فركت فاذهب فما فركها قصد

ولكن الاظهر ان هذا الوصف لا يصدق الا على طائفة معلومة من النساء اللواتي اتيح لهن حق الاختيار والتفضيل بين الرجال واما المرأة بالعموم بين متزوجة وبكر فقلما يصح عليها هذا الوصف

واما قلب الرجل بالعموم فربما يكون ذاك الوصف اصدق به لان كل طوائف الرجال تشبه تلك الطائفة من النساء حتى ان اكابر الرجال كانوا على شيء من ذاك الخلق كما يبدو من قول البحتري

اؤلف نفساً قداعيدت على الهوى ... شعاعاً وقلباً في الغواني مقسما

فانه جعل قلبه ذا اميال شتى وانكر وفاءه وصدق وداده لواحدة منهن . ومثله التهامي في قوله

كلما قلت قد تنكر قلبي ... من هوى خلة تعلق اخرى

وهو وصف صادق بتلك الطائفة من النساء كما قلنا وانما يكون ذلك لان الرجل اقل حياء من المرأة فهو بهذا يكون شديد التلطف في حديثه وهيئته معها وافر الحيلة على خديعتها فتنخدع وتنقاد لانها تظن ان ما به كان هوى صادقاً مع انه ليس كذلك كما ان الرجل لم يكن قاصداً الخديعة عن لؤم وانما هو طبعه جرى عليه فكان من تأثيره ما كان والى مثل ذلك يشير المتنبي عن بعض النساء بقوله « وان فركت فاذهب فما فركها قصد »

الا انه كيفما قيل عن قلبي الرجل والمرأة فانهما مغلوبان على قلبيهما من لدن الطبيعة لانه كما لا يشكر الكلب شكراً صادقاً لوفائه وامانته من حيث انه هكذا خلق وانه لم يمرن على اخلاقه الجيدة فيطاوع ويكون من ارادته وتفاوتها في جنسه سبب للثناء عليه كذلك لا يلام الهر على لؤمه وعدم وفائه

لانه هكذا خلق وما مرّنه احد على اللؤم ولا هو اراده واختاره من بين الاخلاق كما هي الحال في اخلاق الانسان بغير الشأن الذي كنا فيه

جمعية العروة الوثقى

ومدرسة محمد علي الصناعية

هي الجمعية التي فاتت حدود التدريج في الترقي والنجاح مخالفة بذلك اكثر جمعيات بلادنا التي لا توشك ان تعقد حتى تنحل ولا تكاد ترقى حتى تسفل فانها نشأت في اول عهدها ضعيفة كسائر جمعيات المشرق ولكنها ما لبثت ان اشتد ازرها وكثر انصارها وتعدد مريدوها فاقبل على رئاستها والانضمام اليها ارباب الفضل الواسع والعقل الراجح ثم اقبل عليها في أثرهم اكثر ارباب الثروة واولي الكرم من جميع الملل والمذاهب والاجناس وذلك لما تأكدوه فيها من توخي النفع الشامل للجميع وارادة محض الخير للكل وحسن النية للمستقبل حتى تعددت مدارسها وكثرت فروعها وكان ذلك بدء النهضة الاولى لها حتى تنبه اليها ولم يكن بالغافل عطوفة المحسن العظيم والكريم المتلاف في سبل المعروف والنفع الا وهو احمد منشاوي باشا الغني عن التعريف فاجزل احسانه عليها الى ما فات حدود الكرم في الشرق وتعدى خط الاحسان في مصر وبذلك عظم شأن تلك الجمعية وكبر امرها وكثر المال بين يديها وكان ذلك مقدمة النهضة الثانية التي لها فقامت تفكر في اجل

الاعمال نفعاً واكثرها لزوماً الا وهي الصناعة الفقيرة بها هذه البلاد كل الفقر وقررت ان تنشئ لها مدرسة جامعة دعتها باسم مدرسة محمد علي الصناعية اشارة لمحمد علي العظيم مؤسس مصر الحديثة وصاحب الفضل الاول عليها في الصناعة بالخصوص وسائر الفنون بالعموم وقد عينت لوضع الحجر الاساسي لها يوماً مشهوداً مذكوراً في تاريخ البلاد يشرفه سمو الخديوي المعظم صاحب الفضل الاكبر على تلك الجمعية بكثرة انعطافه عليها ومحبته لها وبره بها ويدعى فيه عدد عديد من سراة القطر جميعه على اختلاف اجناسهم ومراتبهم واننا ما نذكر ذلك ارادة اطلاع الناس عليه ولكننا نذكره من قبل تدوين شيء جدير بالتاريخ في الكتب خليق بالحفظ في المجلات لان المدرسة المشار اليها ستكون المفتاح الاول الذي يفتح به ابواب مدارس عديدة من مثلها تحيي بها البلاد حياة حقيقية وتكون دلالة على مبلغ هذا العصر العباسي الباهر الذي ما رأت مصر مثله عصراً ولا حفظ التاريخ لها كذكره ذكراً كما اننا نشير الى ذلك تذرعاً للثناء على اعضاء هذه الجمعية ورؤسائها الافاضل الذين كانوا اشرف قدوة يقتدي بها امثالهم في سائر الاغراض المحتاجة اليها هذه البلاد كما نتذرع به للثناء بالخصوص على عطوفة منشاوي باشا الذي قوى تملك الجمعية بعد ضعفها واسرع فيها بعد بطئها وكان وحده معها بمثابة كل من اسعفوها ونحن لا نقول هذا لشيء الا ان يكون كتاريخ ايضاً لمجده الرائع واحتياله على العلياء باشرف الحيل واسمى الوسائط سائلين الله ان يكثر من امثاله او يجعل في البلاد واحداً فقط مثله يعينه على سلوك هذه الطريق ويفرج عن اداب بلادنا وصناعتها ما يحيق بها من الضيق كما نسأله ان يطيل لتلك الجمعية بقاء سمو عميدها العظيم